(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ)

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل : (ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إلا نَدِمَ) قالُوا : وفِيمَ نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ : (إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لايَكُونَ نَزَعَ) يعني تاب ورجع اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فيقول تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَالْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

• عباد الله المؤمنين : فها قد مضى شهر رمضان ولم يبق من أيامه إلا يوم أو يومان والله أعلم ومع أننا فى الأوقات الأخيرة من هذا الشهر الكريم إلا أنه لاحرج على فضل الله فقد يقصر أحدنا فى الشهر كله ثم يتوب فى اللحظات الأخيره فيتقبل الله توبته ويبدل الله سيئاته حسنات ويحدثنا القرآن الكريم عن كبائر من الذنوب بدلها الله حسنات حين تاب مرتكبوها فقال عن عباد الرحمن : (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) .

• وما حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنا ببعيد فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ، فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلَهَا) .

• فاحذروا ياعباد الله من سوء الخاتمة فكم من عبد طال عهده مع العبادة ثم ختم له بعمل غير صالح فخسر الدنيا والآخرة ندلل على قولنا هذا بمثال من الجن ومثال من الإنس : فأما مثال الجن فهذا إبليس كبير الشياطين كان كثير العبادة لله فلما خالف أمر الله ولم يسجد لآدم استكبارا لعنه الله وطرده من معية الملائكة قال تعالى : (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) فإبليس ليس من الملائكة قال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً) وقد حذرنا الله منه فقال : (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَتَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)

• وأما مثال الإنس : فهذا رجل من علماء بني إسرائيل يقال له (بلعام) كان مجاب الدعوة بسبب معرفته للإسم الأعظم ، بعثه نبيه موسى عليه السلام إلى ملك يدعوه إلى الله فأغراه الملك بالمال فترك دين موسى عليه السلام وتبع دين الملك فنزل قوله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

• فعلينا أن نحسن الظن بالله مع عمل الصالحات فى كل وقت فقد يظفر أحدنا بنفحة لايشقى بعدها أبدا لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) فالنفحةعطاءات من الله كالسكينة ينزلها الله على قلوب محبيه فتسكن جوارحهم فتنطق بالصواب والحكمة قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) أما الطمأنينة : فيكتسبها العبد بذكر الله قال تعالى : (أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) فمن ثمرات السكينة : دوام العبادة فقد أخفى الله أمورا فى أمور لنجتهد بالطاعات فأخفى اسمه الأعظم فى أسمائه لندعوه بأسمائه الحسنى قال تعالى : (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 99 إسماً لا يشبهه فيها أحد ولكلّ اسم منها معنى يدلّ على عظمة الخالق وكماله ، فكيف كانوا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ ؟ لقد حرفوا اسم (الله) إلى اللات وحرفوا اسم (العزيز) إلى العزى .

• وأخفى الله ليلة القدر في ليالي العشر من رمضان لنجتهد في كل لياليه ، وأخفى الله ساعة الإجابة في يوم الجمعة لندعوه فى جميع الأوقات ، وأخفى الله الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس لنحافظ على الصلوات كلها ، وأخفى الله وَلِيَّهُ في عباده لنحسن الظن بالناس جميعا لقوله : (رُبَّ أَشْعَثَ أَغبرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ) وأخفى الله وقت يوم القيامة لنتزود بالأعمال الصالحة قال تعالى : (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ) وأخفى الله عن الإنسان أجله ليكون في خوف دائم!!!

• فاجعلوا معشر المسلمين ألسنتكم رطبة بذكر الله كما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل يقول ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فى المجلس الواحد : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ) مائة مرة ، وجددوا العقد مع الله بتوبة صادقة فقد يأتى الموت فجأة وعندما يأتي الموت فجأة لاتنفع التوبة قال تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) .

• واحرصوا على صحبة الأخيار الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ كما أمركم ربكم فقال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) وابتعدوا عن صحبة الأشرار وعن مجالس الغيبة والقيل والقال فإنها عداوة فى الآخرة قال تعالى : (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) واهتموا لقبول الأعمال فلقد قال علي رضي الله عنه : لا تهتمّوا لقِلّة العمل ولكن اهتمّوا للقبول ألم تسمعوا قول الله تعالى : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) فالله لايتقبل عملا فيه رياء قال تعالى :

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

• فعلى المسلم أن يخاف مقام ربه ويخشاه فالخوف من الله سبيل الجنان قال تعالى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) فمن لم يجعل مخافة الله بين عينيه أمن مكر الله ولا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُون يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ ، إِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) لقد أمرنا ربنا بطاعته وعبادته وهو غني عنا ، أمرنا بطاعته ليدخلنا بسببها جنته قال تعالى : (إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) فاتقوا الله واختموا صومكم بصالح الأعمال خاصة صدقة الفطر وأقلها 20 $ عمن تلزمك نفقته .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

## عناصر الخطبة

فها قد مضى شهر رمضان ولم يبق من أيامه إلا يوم أو يومان
ومع أننا فى الأوقات الأخيرة من هذا الشهر الكريم إلا أنه لاحرج
فقد يقصر أحدنا فى الشهر كله ثم يتوب فى اللحظات الأخيره
ويحدثنا القرآن...عن كبائر من الذنوب تبدلت حسنات حين تاب مرتكبوها
فاحذروا يا...من سوء الخاتمة فكم من عبد طال عهده مع العبادة
ندلل على قولنا هذا بمثال من الجن ومثال من الإنس
فعلينا أن نحسن الظن...مع عمل الصالحات فقد يظفر أحدنا بنفحة لايشقى...
فالنفحة عطاءات من... كالسكينة ينزلها...على قلوب محبيه أما الطمأنينة
وقد أخفى الله أمورا فى أمور لنجتهد بالطاعات فأخفى اسمَه الأعظم فى أسمائه
وأخفى ليلة القدر...وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة... وأخفى الصلاة الوسطىٰ
وأخفى وَلِيَّهُ في عباده لنحسن الظن... وأخفى وقت يوم القيامة... عن الإنسان أجله
فاجعلوا ألسنتكم دائما رطبة بذكر...كما كان رسول...يقول ابن عمر
وجددوا العقد مع الله بتوبة صادقة فقد يأتي الموت فجأة
فاحرصوا ياعباد...على صحبة الأخيار الَّذِينَ يَدْعُونَ
وابتعدوا عن صحبة الأشرار وعن مجالس الغيبة والقيل...فإنها عداوة
فلقد قال علي...لاتهتمّوا لقِلّة...ألم تسمعوا...فا...لايتقبل عملا فيه رياء...
على المسلم أن يخاف من...ويخشاه فالخوف من...سبيل الجنان
فمن لم يجعل مخافة...بين عينيه أمن مكر...ولا يَأْمَنُ مَكْرَ
لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلاَ أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ
لقد أمرنا ربنا بطاعته وعبادته وهو غني عن هذه الطاعة